عندما يكون السائح مثقفا

منذ اللقاء الأول كانوا متحمسين للمسير عبر أحد المسارات الطويلة ... فقد حضروا الى المحمية وكنت للتو قد انهيت مسار عرقوب رومي مع احدى المجموعات ... الوقت ليس مبكرا وأنا متعب من المسير الطويل ... أهلا وسهلا بكم انا عماد العمري مسؤول السياحة ودليل سياحي ... فتعرفت إليهم منير وزوجته ليال من لبنان.

فقد سحرتهم اطلالة المحمية منذ لحظة الوصول ... فأرادوا أن يشبعوا ذلك الإحساس الجميل بالمسير عبر الطبيعة الخلابة ... وقد أزعجهم عدم معرفة وجود هذه المسارات مسبقا ... وقد لاموا الأدلاء الذين قابلوهم مسبقا في أم قيس لعدم التحدث عن المحمية ومساراتها الجميلة ... فقرروا أخذ المسار القصير اليوم على أن يعودوا مجددا برفقتي عبر مسار جديد وطويل.

بعد أسبوع من اللقاء الأول عاد للاتصال:

مساء الخير أستاذ عماد ... أنا منير إذا بتذكرني ... حكينا بلكي نعمل مسار طويل معك ...

أهلا وسهلا أستاذ منير ... بكل سرور.

خلينا انشوف نهاية الأسبوع بلكي يزبط معنا.

بتشرفونا أستاذ منير.

رح اخبرك بكره متى بالأكيد ... مع السلامة أستاذ عماد.

الى اللقاء.

تم تأكيد الحجز لمسار عرقوب رومي بنهاية الأسبوع ... ومن خلال خبرتي بالزوار فإن المهتمين بالطبيعة يحتاجوا الى اهتمام زائد قليلا عن غيرهم ... فلا بد من التحضير جيدا وعمل تحديث لكل المعلومات ... وقد فعلت.

فقد وصلوا على الوقت المتفق عليه وعلامات الحماس والدهشة بادية عليهم ... سعداء لأنهم هنا بين أحضان الطبيعة ... حيث غذاء الروح والجسد ... أترقب انفعالاتهم خلسة قبل الذهاب الى بداية المسار ... يتنفسون شوقا وحنينا لكسب أكبر قدر من الهواء النقي ... يتأملون المناظر بهدوء واسترخاء ... وكأني بهم يتحضرون لخوض مغامرة هي في خيالهم ... ليتني اكتشف سرها لأكون على قدر العطاء.

على غير العادة بدأ حوارنا بفلسفة الطبيعة المحيطة بنا ... فكانت لوحة نرسمها متنقلين بين الطبيعة والتراث والتاريخ ... فتختلف الألوان حسب الآراء المطروحة ... فتكون شفافة نقية عند الحديث عن الطبيعة ... ويملأها الحب والحنين ... الأمل والذكريات عند الحديث عن التراث ... ويعتريها الألم والحزن عند ذكر التاريخ الذي يمثل أمامنا حبيسا ونحن مكبلون.

عماد العمري

حكايا المسارات

ليس غريبا أن يكون الحوار عاليا منذ البداية ... فمنير وزوجته ليال مثقفين ويكتبون في أكثر من مجال في المجلات والنشرات الالكترونية ... يعشقون الطبيعة والتراث ولديهم الكثير من التقارير الصحفية والدراسات حول التراث وعلاقته بالمجتمع المحلي ... وقد تحاورنا كثيرا حول الفائدة المرجوة من اختيار مدينة أم قيس كواحدة من أفضل القرى السياحية في العالم ... التي تتبنى السياحة كمحرك للتنمية وتأمين فرص عمل جديدة لتحسين الدخل المحلي والقومي، مع المحافظة على القيم والعادات والصناعات التقليدية ودعمها وتعزيزها، بالإضافة الى تعزيز مفهوم الابتكار والاستدامة السياحية في جميع جوانبها "الاقتصادية والاجتماعية والبيئية"، وبما يتناسب مع أهداف التنمية المستدامة.

وصلنا الى تلة عرقوب رومي الساحرة بجمال اطلالتها ... جلسنا تحت شجرة البلوط وارفة الظلال ... بدأت بإشعال نار خفيفة لعمل ابريق شاي بنكهة الزعتر البري ... لتبدأ جلسة الحكايات ... بينما كنا نحتسي الشاي وإذا بالأغنام تحاوطنا من كل الاتجاهات ... تتمشى بيننا ونحن بحالة سكون وصمت ... حملنا كاسات الشاي بأيدينا لئلا تتعثر بها وتنسكب أرضا ... وقربنا حقائبنا الينا لئلا تعبث بها ... واستمرت هذه الفوضى لدقائق حتى اقترب الراعي منا معتذرا وأبعد القطيع عنا.

عدنا للتأمل وفتح حوار جديد ... فكانت سكة خط الحجاز الماثلة أمامنا بجسرها على نهر اليرموك محور الحديث ... منذ التأسيس الى أن انتهى العمل بها ... واستذكرنا الكثير من محطاتها وفوائدها لبلاد الشام خاصة وللدول العربية عامة ... فكانت تربط الوطن العربي بشبكة مواصلات تعجز الدول الآن عن القيام بها ... وقد فرقتنا الحدود ومنعتنا من التواصل.

كنا وقبل الوصول الى التلة تحدثنا عن الأدب وكتابة الموروث الشعبي ... فطلبوا مني قراءة بعض القصص من الموروث الشعبي المحلي ... فسردت لهم قصة عرقوب رومي حيث سمي المسار باسمه ... وقد اعجبتهم كثيرا القصة من جهة وطريقة السرد للأحداث من جهة أخرى ... فقال لي منير: كوني كاتب وناقد انت تمتلك أسلوب غاية بالروعة والتشويق ... فقد عشت أحداث القصة بهدوء وعمق ... فكنت أتخيل كل تفاصيل القصة من روعة الوصف ودقته ... أرجو أن تستمر بالكتابة لهذا الموروث الذي يكاد يختفي عبر الأجيال القادمة.

نتنقل بين التراث والطبيعة والتاريخ ... وكلما ابتعدنا قليلا عن السياسة والتاريخ أعادتها الحدود أمامنا الى الحوار ... فالجولان السوري المحتل ... طبريا والناصرة من فلسطين ترافقنا حيثما اتجهنا ونظرنا ... فتتحول الذكريات والأماني الى أحزان وآلام لم يستطع الزمن تخفيفها وطيها ... فكلما تقدم الزمان زادت الأحزان وانقطع الأمل.

أعادتنا الطبيعة اليها من جديد عندما غادرنا التلة نزولا باتجاه الوادي ... نمشي بين الأشجار صامتين لا نسمع الا خطانا على الأرض وأصوات العصافير بين الفينة والأخرى ... ما أجملها تلك الأصوات حينما تكون متأملا ... فلا تشعر بالوقت ولا المسافة ... وعند أول وقفة لنا نظرنا الى الخلف حيث كنا فلم نصدق أننا قطعنا كل هذه المسافة ... وسرعان ما وصلنا الى عين نيني بقاع الوادي ... لنغسل أيدينا ووجوهنا بماء العين البارد وعمل استراحة قصيرة استعدادا للصعود من جديد.

عماد العمري

حكايا المسارات

المسافة المتبقية صعودا لا تتجاوز الثلاثمئة متر وهي أصعب ما في المسار كونها تحت مستوى سطح البحر ... فتشعر بالضغط والاجهاد وارتفاع درجة الحرارة ... وصلنا الطريق بالأعلى بسلام ... مشينا قليلا لنجلس بظل شجرة بلوط بانتظار البكب لتوصيلنا الى بركة العرائس.

بطريق العودة كانت علامات الرضى والانبساط بادية عليهم.

منير: لا بد من العودة لمسار جديد.

ليال: سنعود بفصل الربيع بالأكيد.

أهلا وسهلا بكم متى شئتم

الى لقاء جديد

رافقتكم السلامة.

عماد العمري